علم المناســـــبة فــي القـــــرآن الكريم

د. محمد رجب سويسي ــ قسم الفقه وأصوله ــ كلية الشريعة ـ جامعة الزاوية

الملخّـــص :

علم المناســـبة يعتبر من أهـــم علوم القــرآن، وعلوم القرآن لا تنتهي ولا تنضب ؛ لأنه كتاب معجز لا يمكن لأحد الاتيان بمثله، وبهذا العلم يُعــرف إعجازه وقوة نظمه وترتيبه، فهو علم له فوائد عظيمة يُعين على فهم وحســن وتدبر القــرآن، ومنه ما هو ظاهر، ومنه ما هو باطن، ولكنه قائم على الاجتهاد والرأي.

Abstract:

The science of relevance is considered one of the most important sciences of the Qur'an, and the sciences of the Qur'an are endless and inexhaustible; because it is a miraculous book that no one can come up with anything like it, and through this science its miraculousness and the strength of its organization and arrangement are known, as it is a science with great benefits that help in understanding, improving and contemplating the Qur'an, and some of it is apparent, and some of it is hidden, but it is based on diligence and opinion.

المقدمـــــــــة:

الحمد لله, والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد :

فإن علوم القرآن لا يمكن تنتهي ولا أن تنقضي عجائبه أبداً, فهي من علوم الله - جلّ وعلا- , فذلك الكتاب الذي لا ريب فيه وهدى للمتقين, ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ إذ أنه تنزيل من حكيم حميد, فلا ينقصه شيء, ولا تنقضي عجائبه, ولا تنفد كلماته, قال الله – تعالى - : ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾(1), وقال – أيضاً- : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (2), ولذلك فإن من بين هذه العلوم علم المناسبة في القرآن الكريم, الذي يُعتبر من أهم علومه, فبه يُعلم ارتباط بعضه ببعض, ولمعرفة المناسبة في السورة الواحدة, أو بين الســـور الأخرى, أو بين الآيات أولها وآخرها, وغير ذلك كما سيأتي, وبه يُعرف وجوه إعجازه, ودقة نظمه وترتيبه, وسبك ألفاظه وجمله, وجمال ألفاظه

وحكمةُ أحكامه, يقول - تعالى - : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ يؤمنون فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾(3)، وقال – أيضاً- : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (4), وقوله: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (5), وقوله – تعالى- : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾(6), ومـــن إعجازه ترابطه بين سوره وآياته وحروفه وكلماته من أوله وحتى آخره, ولما كان علم المناسبة في القرآن بهذا الشأن شغل كثير من العلماء أوقاتهم وحياتهم لنشر هذا العلم وإظهاره لبيان العلاقة بين كل سوره وآياته, مما حفزني لكتابة هذا البحث المتواضع الذي يعتبر نقطة في بحار علوم القرآن, وقد قسمته إلى: مقدمة ومطلبين وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث.

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبة وفائدته ونشأته ، والمطلب الثاني: أنواع المناسبات في القرآن الكريم ، والخاتمة : وتضمنت أهم النتائج.

المطلب الأول ـ التعريف بعلم المناسبة ونشأته وفائدته:

أولاً ــ تعريفه لغةً : المناسبة في اللغة: مصدر من ناسب يناسب مناسبة, وهي بمعني المقارنة والمشاكلة, والنسبة والنسب القرابة (7) ، وفي اللسان: "النَسَبُ: نسيب القرابات, وهو واحد الأنساب... وناسبه: شَرِكه في نسبه, والنسيب: المناسب, والجمع نُسباء, وأنسباء, وفلان يناسب فلاناً, فهو نسيبه أي قريبه"(8). ومن معانيه الطريق المستقيم الواضح, وقيل هو الطريق المستدق كطريق النمل والحية, وطريق حُمُر الوحش إلى مواردها"(9). وذلك لاتصال بعضه ببعض. وبالجملة فإن معني المناسبة المقاربة والاتصال بين شيئين, فالنسب سُمى بذلك لاتصاله والاتصال به, والطريق المستقيم لاتصاله ببعضه.

ثانياً ــ تعريف المناسبة في الاصطلاح : ذكر الســـيوطي أن ابن العربي عرفها فقال هي : "ارتباط آي القرآن الكريم بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني "(10)، وقال الزركشي: "...المناسبة أمر معقول ؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول "(11), فهو علم يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض, وبين الســـور بعضها ببعض, حتى تُعرف علل ترتيب أجـــزاء القرآن الكريم(12).

ومن خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتبين الارتباط بينهما, حيث إن المعنى اللغوي لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي فكلاهما بمعنى الترابط والتناسب والمقاربة.

ثالثاً ـ نشـــأته : لم يكن علم المناسبة معروفاً بهذا الاصطلاح وبهذا المعنى الواسع عند نزول القرآن الكريم, "ومعلوم أن القرآن مر بمراحل مختلفة قبل أن يصبح كعلم مدون وتؤلف فيه هذه المؤلفات الكثيرة والمباحث المختلفة والمتنوعة"(13).

وعلم المناسبة كعلم من أهم العلوم في القرآن الكريم تدرج في ظهوره حتى أخذ هذا الاسم, وبدأ يأخذ نصيباً أوفراً من الاهتمام(14). "وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته؛ وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي، وقال في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والراوبط"(15).، وقال القاضي أبو بكر بن العربي: "... لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه بسورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه؛ فلما لم نجد له حَمَلَة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"(16)، وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني(17): "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري" وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قُرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"(18).

وما أشرنا إليه من أن هذا العلم لم يكن معروفاً بمعناه الواسع وبهذا العَلَمْ الاصطلاحي إلا أن هناك بعض الإشارات تدل على أن بعض الصحابة والتابعين أشاروا إلى علم المناسبة من ذلك ما روى عن أبى سعيد الخدري - رضى الله عنه - أنه حدّث أن قوماً يدخلون النار ثم يخرجون منها، فقالوا له: أوليس الله تعالى يقول: " يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ "(19).فقال لهم أبو سعيد: اقـرؤا ما فوقها: " **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...**"(20).

وما روى أيضاً عن مسلم بن يسار أنه قال: "إذا حدثت عن الله حديثاً، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"(21).، وعن إبراهيم النخعي قال: قال ابن مسعود - رضى الله عنه - إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا, فليسأله عما قبلها"(22).، وروى أن إعرابياً سمع قارئاً يقرأ: "فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم"(23). فأبدله القارئ بأن قال: "غفور رحيم، فقال الأعرابي إن كان هذا كلام الله هكذا، إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغــراء عليه"(24).، وقال

الأصمعي: "كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي، فقرأت هذه الآية "**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ**"(25). فقلت: "والله غفور رحيم"، سهواً ثم تنبهت فقلت: " والله عزيز حكيم"، فقال الآن أصبت! فقلت: كيف عرفت؟ قال يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع"(26).

رابعاً ــ فضله وفائدته : علم المناسبة بين السورة الواحدة, أو بين الآيات, أو بين السورة والسورة له فضل عظيم, وبه يعرف إعجازه وبيانه, وأنه من لدن حكيم عليم, لا يأتيه الباطل أبداً ولا شك أن مثل هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه من كل الوجوه, لا سيما الترتيب والتناسب, فهو من أهم علوم القرآن, وكل علم في القرآن والبحث فيه من أعظم الأعمال وأشرفها, إذ أن متعلق هذا العلم بهذا الكتاب العظيم. يقول الزركشي: " واعلم أن المناسبة علم شريف, تَحْزَرُ به العقول, ويعرف به قدر القائل فيما يقول"(27). ثم قال: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض, فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"(28). وهذا العلم يُكشف به الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال تآخي وتناسق سوره وآياته(29).

فالقرآن الكريم أُحْكمت آياته وفُصلت كما قال الله تعالى: "**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**"(30)،، قال قتادة: "أحكمت أتقنت شبه ما يُحكم من الأُمور المتقنة الكاملة"(31)،، وقال القرطبي: "وأحسن ما قيل في معنى: "أحكمت آيته" قول قتادة؛ أي جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل, والإحكام منع القول من الفساد, أي نُظمت نظماً محكماً لا يلحقها تناقض ولا خلل"(32)،، ولو كان من صنع البشر لما تناسق واختلف اختلافاً كثيراً يقول الله تعالى: "**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**"(33)،، يقول ابن حيان: "ووجه هذا الدليل أنه ليس من متكلم كلاماً طويلاً إلا وُجِد في كلامه اختلاف كثير, إما في الوصف واللفظ, وإما في المعني بتناقض أخبار, أو الوقوع على خلاف المخبر به, أو اشتماله على مالا يلتئم, أو كونه يمكن معارضته. والقرآن العظيم ليس فيه شيء من ذلك؛ لأنه كلام المحيط بكل شيء مناسب بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء, وتظافر صدق أخبار, وصحة معان, فلا يقدر عليه إلا العالم بما لا يعلمه أحد سواه"(34) ، وقال ابن عطية: "فإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافاً فالواجب أن يتهم نظره, ويسأل من هو أعلم منه"(35).

وعلم المناسبة من العلوم التي تحتاج إلى الدقة والإمعان فبه تُعرف المقاصد والنظم والإعجاز بشتى أنواعه. يقول الزركشي : "وقد قل اعتناء المفسرين لهذه النوع

لدقته"(36)، وقد اعتبر الإمام البقاعي: "أن نسبة هذا العلم من علم التفسير, كنسبة علم المعاني والبيان من النحو" (37).

ويقول الدكتور صبحي الصالح: "إن ارتباط أي القــرآن, وتناسق بعضها مع بعض, واقتران كلماتها وجملها, ومشاهدها وصورها, علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه, وفُسرت في ضوئه أكثر أحكامه وشرائعه... ، ثم أشار إلى عمل أبي بكر النيسابوري فقال: هذا اتجاه جديد إلى الكشف عن الترابط بين السور، إلى جانب الكشف عن التناسب بين الآيات, والحق أن الذي ينبغي التنقيب عنه, والاستيثاق من نتائجه هو بالمقام الأول وجه المناسبة بين الآيات, وبين السور"(38).

ومن فوائد هذا العلم أنه : "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض, فيقوى بذلك الارتباط, ويصير التأليف كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء"(39). كذلك "بيان مناسبة السورة لما قبلها, أو الآيات لما قبلها خطوة مهمة في تفسير القــرآن تلقي الضوء على غرض السورة, أو الآية ومقصودهما مما يعطى فكرة عن الســـورة أو الآيات"(40)، كما يساعد هذا العلم على ترجيح بعض الآراء على بعضها الآخر, كما أنه يساعد على حل مشكلات في تفسير القرآن (41). قال الإمام البقاعي: "وبذلك – أي المناسبة – توقف على الحق من معاني آيات حَارَ فيها المفسرون"(42).

وقال الشيخ عبدالحميد الفراهـي : " ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه"(43). كما أنه يبرز جانباً مهماً من جوانب القرآن الكريم وهو الإعجاز بشتى أنواعه وأشكاله, مصداقاً لقوله – تعالى - :﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ (44) ، وقال القرطبي لما ســرد وجوه الإعجاز: "ومنها: التناسب في جميع ما تضمّنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف"(45).

وقال الخطابي: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف, مضمناً أصح المعاني..." (46)، وقال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام: "والمناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره.." (47).

وقال الإمام الرازي: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه, فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"(48).

المطلب الثاني ـ أنواع المناسبات في القرآن الكريم:

أولاً ـ المناسبة في الســـورة الواحدة: يقول الزركشي: "ومن المعجز البين أسلوبه, ونظمه الباهر؛ فإنه "كتب أحكمت آياته ثم فصلت مدلول حكيم خبير"(49) قال: والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها, أو مستقلة, ثم المستقلة؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم؛ وهكذا في السور يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"(50) ، ثم قال- أيضاً- : ".... وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما خُتم به السورة قبلها"(51)، وقال البقاعي: "وتناول وجوه الإعجاز له طريقان:

- أحدهما نظم كل آية بحسب تركيبها.
- الثاني نظم كل آية وكل سورة من حيث مناسبتها لما قبلها وارتباطها بما بعدها"(52).

وهذا النوع من المناسبة كثير وكثير جداً في كتب التفسير وعلوم القرآن, وفي الكتب التي اعتنت بالمناسبة وسنذكر بإذن الله تعالى بعض النماذج التي تبين وجود هذا العلم فعلاً, ومن خلال ذكر العلماء للمناسبة في السورة الواحدة فإن التناسب فيها ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: التناسب بين السورة واسمها.

النوع الثاني: التناسب بين خاتمة السورة لمضمونها.

النوع الأول: التناسب بين السورة واسمها: ويقصد به المناسبة بين اسم السورة ومقصودها ومضمونها, أو تناسب أولها مع آخرها, ومن الأمثلة ما يلي:

1التناسب في سورة الكهف, فقد احتوت على بيان أربع فتن مما يتعرض له الإنسان, وهي فتنة الدين وكيفية الخلاص منها, كما حصل مع الفتية قال الله تعالى: ﴿ **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾(53)، وكذلك في قوله – تعالى- : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾(54). ، وقصة صاحب الجنتين, وفتنة العلم في قصة موسى والخضر, وقصة السلطان في قصة ذي القرنين, وفتنة القوة والكثرة في قصة يأجوج ومأجوج, وذكرت السورة المخرج من كل واحدة من هذه الفتنة, وكأنها كهف لمن اعتصم بها من الناس(55).

2.المناسبة بين سورة البقرة واسمها فقد ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه بذبحها, قال الله – تعالـــى - : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ**

لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (56).

3.المناسبة بين سورة يوسف واسمها؛ فإن كل الســورة أو جلها تتحدث عما يتعلق بسيدنا يوسف - عليه الصلاة والسلام - , فلم تذكر قصة نبي في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف من الإطناب(57).

وهناك - أيضاً - سور سميت بأسماء تتعلق بمضمونها بين الإيجاز والإطناب, كسورة المائدة, وسورة محمد , والفاتحة والفيل وغيرها مما لا يمكن حصرها في هذا البحث.

الفرع الثاني : التناسب بين خاتمة السورة ومضمونها:

أ .**ســـورة البقرة :** بمعني أن يكون هناك ارتباط بين ما تضمنته سورة البقرة من توحيد الله والإيمان بالكتب والرسل والملائكة وذكر نعمه وإثبات نبوة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وتقرير المعاد, وذكر الجنة والنار وغير ذلك كثير(58).ثم بعد أن سرد ابن تيمية أغلب ما تضمنته سورة البقرة, ذكر وجه التناسب وقال في الفتاوي: (59) "لما كانت "سورة البقرة " من سنا القرآن, وأكثر سوره أحكاماً وأجمعها لقواعد الدين: أصوله وفروعه... ختمها الله تعالى بآيات جوامع مقررة لجميع مضمون السورة فقال تعالى: **" لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"**(60).

ب. سورة التين : ووجه التناسب في هذه السورة أنها ختمت بما تضمنته, حيث يقول ابن القيم: " ثم ختمت السورة بقوله تعالى: " أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ"(61), وهذا تقرير لمضمون السورة من إثبات النبوة والتوحيد والمعاد وحكمه بتضمن نصره لرسوله على من كذبه وجحد ما جاء به بالحجة والقدرة والظهور عليه وحكمه بين عباده في الدنيا بشرعه وأمره وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه, وإن أحكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الأحكام بعدما ظهرت حكمته في خلق الإنسان في أحسن تقويم, ونقله في أطوار التخليق حالاً بعد حال إلى أكمل الأحوال, فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن لا يجازي المحسن بإحسانه, والمسيء بإساءته, وهل ذلك إلا قدح في حكمه وحكمته فلله ما أخصر لفظ هذه السورة وأعظم شأنها وأتم معناها"(62).

ثالثاً ـ المناسبة بين بداية السورة ونهايتها : يقول أبو حيان في تفسيره: "وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها, بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء, وسأبين ذلك إن شاء الله في آخر كل سورة سورة, وذلك من أبدع الفصاحة, حيث

يتلاقي آخر الكلام المفرط في الطول بأوله, وهي عادة العرب في كثير من نظمهم, يكون أحدهم آخذاً في شيء, ثم يستطرد منه إلى شيء آخر, ثم إلى آخر, هكذا طويلاً, ثم يعود إلى ما كان آخذاً فيه أولاً, ومن أمعن النظـر في ذلك سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادئ النظم أنه لا مناسبة له"(63).

وفي سـورة (المؤمنون) : هناك تناسب عجيب بين أول السـورة وخاتمتها، ففي أولها قوله تعالى: **" قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الذين هم في صلاتهم خشعون "**(64). وفي آخرها قوله - تعالى- : ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**"(65)، يقول الزّمخشـري: "... جعل فاتحة سـورة " **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** وأورد في خاتمتها ﴿ **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة" (66).،

قوله - تعالى - في سورة الحشر فقد بدأت بقوله : " **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**"(67) ، وختمت بقوله – تعالى- : " **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَـبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (68). ، ففي البداية تنزيه لله, وذلك قد وقع من كل من في السماوات والأرض, وفي ختامها لما أعلى سبحانه أولياءه بأن فتح السورة بالإيمان بالغيب وهو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل, وينزل لعباده في أسباب الصفات والأفعال, إلى أن أوصلهم إلى محسوس الأمثال, فتأهلوا للفناء في ذاته, وما على صفاته الموجبة لخشيته, رقاهم إلى التفكير في تفصيل ما "افتتح به"(69).

ومن الأمثلة كما جاء في الاتقان مستشهداً بسورة القصص, فقال: "وانظر إلى سورة القصص : كيف بدئت بأمر موسى ونصرته, وقوله: ﴿ **فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ**﴾ (70). وخروجه من وطنه, وختمت بأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بألاّ يكون ظهيراً للكافرين, وتسليته عن إخراجه من مكة ووعده بالعَوْد إليها لقوله في أول السورة: **"إنا رادوه إليك"**(71).، وفي سورة "ص" "والقرآن ذي الذكر"(72). بدأها بالذكر وختمها به في قوله: "إن هو إلا ذكر للعَلمين"(73). بدأها بالذكر وختمها بالذكر.

رابعاً ـ المناسبة بين السورة والتي قبلها : قال السيوطي: "وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة التي قبلها, ثم هو يخفي تارة ويظهر تارة أخرى"(74)، ومن الأمثلة على هذا النوع من المناسبة قوله - تعالى- : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ (75). فقد افتتحت بالحمد, وختمت بما يناسب افتتاح سورة الأنعام. كما قال السيوطي: "كافتتاح سورة الأنعام

بالحمد فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى: "وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين"(76)، وكافتتاح سورة فاطر(بالحمد) – أيضاً- , فإنه مناسب لختام ما قبلها – في قوله تعالى-: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾(77). وقال تعالى في ختام السورة التي قبلها: ﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ**﴾(78). وقوله تعالى: ﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(79)، ومنها افتتاح سورة الحديد بالتسبيح في قوله – تعالى-: ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(80)، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به"(81). أي : الأمر بالتسبيح في ختام السورة وهي قوله تعالى: "فسبح باسم ربك العظيم"(82)، "وكافتتاح سورة البقرة بقوله:﴿ **ألم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾(83) إشارة إلى "الصراط" في قوله – تعالى- : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾(84). كأنهم لمّا سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب"(85). ، وقال الإمام البقاعي: "لما كانت سورة "الدين"(86). بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق, كانت بإفهامها داعية إلى معاني الشيم, فجاءت الكوثر كذلك, وكانت "الدين" قد ختمت بأبخل البخلاء, وأدنى الخلائق(87) –المنع- تنفيراً من البخل, ومما جرّه من التكذيب, فابتُدِئت الكوثر بأجود الجود المعطى لأشرف الخلائق : ترغيباً فيه, وندباً إليه, فكان كأنه قيل: أنت يا خير الخلق غير ملتبس بشيء عّما نهت عنه : تلك المختتمة بمنع الماعون"(88)، ويقول السيوطي: "ومن لطـــائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة التي قبلها؛ لأن الســـابقة (89) ، فقد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة : البخل, وترك الصلاة, والرياء فيها, ومنع الزكاة, فذكر فيها في مقابلة البخل : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾"(90) أي الخير الكثير, وفي مقابلة ترك الصلاة: "فصل" أي دُم عليها, وفي مقابلة الرياء: ﴿ **لِرَبِّكَ**﴾ أي لرضاه لا للناس, وفي مقابلة منع الماعون: ﴿ **وَانْحَـــرْ**﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي(91), فاعتبر هذه المناسبة العجيبة(92).

الخاتمة:

يمكن أن نوجز بعض نتائج هذا البحث بما يلي:

1.من خلال استقراء بعض كتب علوم القرآن المختلفة, وكتب التفسير وبعض الكتب المساعدة لهما وضوح ووقوع المناسبة في القرآن الكريم, بين السور والآيات وضوحاً لا لبس فيه.

2.علم المناسبة علم عظيم النفع فبه يتبين وجوه الإعجاز.

3.علم المناسبة له فوائد جمة وعظيمة تعين على حسن وفهم وتدبر القرآن.
4.علم المناسبة منه ما هو ظاهر, ومنه ما هو خفي يحتاج من الباحثين مزيداً من الاهتمام.
5.الخلاف في فهم المناسبات عند العلماء سواءً أكان في السور أو الآيات إنما هو قائم على الاجتهاد والرأي.
6.علم المناسبة له أنواع كثيرة جداً, فقد تظهر أنواع أخرى في زمن ما, فمنها ما يتعلق بالسور, ومنها ما يتعلق بما قبلها, أو بما بعدها, ومنها ما يتعلق بالآيات سواء داخل السورة الواحدة, أو في الآيات بين سورة وأخرى.

الهوامـــــــــش :

(1) الكهف: 109.
(2) لقمان: 25
(3) الطور: 31, 32.
(4)هود: 13.
(5)يونس: 38
(6) الإسراء: 88.
(7) المخصص لابن سيده 147/1, 148 مادة نسب, منشورات دار الآفاق الجديدة, بيروت, مختار الصحاح للرازي, ص35, باب النون مادة نسب, طبعة دار الحديث.
(8) لابن منظور 4405/5, مادة نسب, طبعة دار المعارف, المصباح المنير للفيومي المقرئ, ص 357, طبعة دار الحديث.
(9) لسان العرب 4405/5.
(10) الاتقان في علوم القرآن, للسيوطي, ص/572, دار ابن حزم, بيروت, لبنان, الطبعة الأولى 2008م, انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي 35/1, دار التراث, القاهرة.
(11) البرهان 35/1.
(12) مصاعد النظر للإشراف علي مقاصد السور للبقاعي 142/1, دار النشر, مكتبة المعارف, الرياض, الطبعة الأولى, 1987م, المكتبة الشاملة.
(13) مناهل العرفان للزرقاني 28/1, طبعة دار الشام للتراث, علم المناسبات في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية د. أحمد ماهر سعيد نصر, ص/20, جامعة الازهر, كلية أصول الدين, بحث منشور على الإنترنت.
(14) علم المناسبات, د. أحمد ماهر, ص: 20.
(15) مفاتيم الغيب للإمام الفرخ الرازي 110/10, تحقيق: عماد زكي الباروني, قدّم له هاني الحاج, المكتبة التوفيقية, القاهرة – مصر.
(16) البرهان في علوم القرآن 36/1.
(17) منسوب إلى شهرابان, قرية شرقي بغداد يُنسب إليها كثير من العلماء.
(18) البرهان في علوم القرآن 36/1.
(19) سور المائدة, الآية: 36, 37.
(20) إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري 225/5, وقارن بالكشاف للزمخشري 610/1, طبعة دار الفكر, دار المشكاة , الطبعة الأولى, والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 159/5, دار الشام للتراث, لبنان.
(21) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص/377, تحقيق: مروان العطية, ومحسن خرابة ووفاء تقى الدين, مطبعة دار ابن كثير, دمشق – بيروت, الطبعة الأولى 1415هـ = 1995م.

(22) المصنف لعبد الرزاق 264/3, برقم(5988), تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي, المكتب الإسلامي, الطبعة الثانية, 1983م.
(23) سورة البقرة, الآية: 207.
(24)مفاتيح الغيب للرازي 190/5, وقارن بتفسير الكشاف للزمخشري 610/1, طبعة دار الفكر.
(25) الآية: 40.
(26) مفاتيح الغيب للرازي, 197/11.
(27) البرهان في علوم القرآن 35/1.
(28) المرجع السابق 36/1, وينظر الإتقان للسيوطي ص/573.
(29) علم المناسبات في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية للدكتور أحمد ماهر سعيد نصر, جامعة الأزهر, كلية أصول الدين بالمنوفية, بحث منشور على الإنترنت, ص/12.
(30) سورة هود, الآية 1.
(31) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي, 119/5, دار الفكر, 1992.
(32) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله الأنصاري القرطبي, دار الشام للتراث لبنان, 2/9, وينظر البحر المحيط 119/6, ويقارن بكتاب إجمال البيان في مباحث علوم القرآن، د. عبد الله أحميد, ص/262, وما بعدها, منشورات جامعة المرقب, ليبيا, الطبعة الأولى, 2013م.
(33) سورة النساء, الآية: 81.
(34) البحر المحيط في التفسير لابن حيان 725/3, 726, وينظر الجامع لأحكام القرآن 290/5.
(35) البحر المحيط 726/3.
(36) البرهان في علوم القرآن 36/1.
(37) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي 142/1.
(38) مباحث في علوم القرآن, ص/151 وما بعدها, دار العلم للملايين, بيروت, لبنان, الطبعة السادسة عشرة, 1985م.
(39) البرهان للزركشي, 36/1.
(40) علم المناسبات, أحمد ماهر, ص/13.
(41) المرجع السابق نفسه باختصار.
(42) نظم الدرر للبقاعي 13/1.
(43) دلائل النظام, عبدالحميد الفراهى, ص 38, المطبعة الحميدية 1388هـ.
(44) سورة الإسراء, الآية: 88.
(45) الجامع 75/1.
(46) شرح رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي, للدكتور عمر محمد عمر باحاذق, ص/60, دار المأمون للتراث, دمشق, الطبعة الأولى, 1995م, وينظر الإتقان للسيوطي, ص/595, 596.
(47) البرهان 37/1.
(48) مفاتيح الغيب, 106/7.
(49) هود, الآية: 1.
(50) البرهان 37/1.
(51) المرجع السابق نفسه, وينظر مباحث في علوم القرآن, صبحي الصالح, ص/151.
(52) تفسير جزء عم, مقتطف من نظم الدرر في تناسب الآيات والسور, للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي, قدم له وراجعه أحمد عز الدين عبدالله خلف الله, ص/41, دار صادر, بيروت, الطبعة الثانية, 2008م.
(53) سورة الكهف, الآيات: 13-14. وينظر الجامع لأحكام القرآن, للقرطبي 360/10.
(54)الكهف: 28.

(55) علم المناسبات في القرآن الكريم, دراسة تأصيلية, د. احمد ماهر سعيد, ص/57, بحث منشور على الإنترنت.
(56) سورة البقرة, الآية: 66.
(57) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور, 197/12 الدار التونسية للنشر, تونس, 1984.
(58) ينظر: مجموع الفتاوي لابن تيمية, المجلد السابع, 79/14 وما بعدها, تحقيق عامر الجرار, وأنور الباز, مطبعة دار الحديث, القاهرة, الطبعة الثانية, 2001م.
(59) مجموع الفتاوي, المجلد السابع 79/4.
(60) البقرة: 283.
(61) سورة التين, الآية: 8.
(62) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص/70, علق عليه وصححه, فوّاز أحمد زمرلي, دار الكتاب العربي, بيروت, الطبعة الثانية, 1418هـ, وينظر علم المناسبات في القرآن, ص/60.
(63) البحر المحيط في التفسير 755/2.
(64) المؤمنون: 1.
(65) المؤمنون: 118.
(66) الكشاف 45/3.
(67) الحشر: 1.
(68) الحشر: 24.
(69) نظم الدرر للبقاعي, 463/19.
(70) القصص: 16.
(71) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي, ص/577, والسورة من القصص, الآية: 6.
(72) ص:1.
(73) الإتقان, ص/578, السورة من الآية 85.
(74) الإتقان ص/578, وينظر البرهان للزركشي 38/1.
(75) الأنعام: 1.
(76)الإتقان ص/578, والبرهان 38/1 والآية 72 من سورة الزمر.
(77) فاطر: 1.
(78) الإتقان ص/578, والبرهان 38/1, والآية 54 من سورة سبأ.
(79) الأنعام: 46.
(80) الحديد: 1.
(81) البرهان 38/1.
(82) الواقعة: 99.
(83) البقرة: 1.
(84) الفاتحة: 5.
(85) الإتقان للسيوطي ص/578, والبرهان للزركشي 38/1.
(86) وهي سورة الماعون.
(87) أي : أحط الأخلاق وأخسها.
(88) تفسير جزء عم, مقتطف من نظم الدرر, ص/472.
(89) وهي سورة الماعون.
(90) الكوثر: 1.
(91) الإتقان ص: 578.
(92) البرهان للزركشي 39/1.